

البداية والنهاية

بيته فانتدب له عبداً بن علي فقال سر على بركة الله فسار في جنود كثيره فقدم على ابي عون فتحول له ابو عون عن سرادقه وخلاه له وما فيه وجعل عبداً بن علي على شرطته حياش ابن حبيب الطائي ونصير بن المحتفز ووجه أبو العباس موسى بن كعب في ثلاثين رجلا على البريد إلى عبداً بن علي يحثه على مناجزة مروان والمبادرة إلى قتاله ونزاله قبل أن تحدث أمور وتبرد نيران الحرب فتقدم عبداً بن علي بجنوده حتى واجه جيش مروان ونهض مروان في جنوده وتضاف الفريقان في أول النهار ويقال إنه كان مع مروان يومئذ مائة ألف وخمسون ألفا ويقال مائة وعشرون ألفا وكان عبداً بن علي في عشرين ألفا فقال مروان لعبد العزيز بن عمر ابن عبد العزيز إن زالت الشمس يومئذ ولم يقاتلونا كنا نحن الذين ندفعها إلى عيسى بن مريم وإن قاتلونا قبل الزوال فانا لله وإنا إليه راجعون ثم أرسل مروان إلى عبد الله بن علي يسأله الموادعة فقال عبداً كذب ابن زريق لا تزول الشمس حتى أوطئه الخيل إن شاء الله وكان ذلك يوم السبت لإحدى عشر ليلة خلت من جمادي الآخرة من هذه السنة فقال مروان قفوا لا تبتدئون بقتال وجعل ينظر إلى الشمس مخالفة الوليد بن معاوية بن مروان وهو ختن مروان على ابنته فحمل فغضب مروان فشمته فقاتل أهل الميمنة فأناحر أبو عون إلى عبداً بن علي فقاتل موسى بن كعب لعبد الله بن علي فأمر الناس فنزلوا ونودي الأرض الأرض فنزلوا وأشرعوا الرماح وجثوا على الركب وقتلوه وجعل أهل الشام يتأخرون كأنما يدفعون وجعل عبداً يمشي قدما وجعل يقول يارب حتى متى نقتل فيك ونادى يا أهل خراسان ياشارات إبراهيم الإمام يا محمد يا منصور واشتد القتال جدا بين الناس فلا تسمع إلا وقعا كالمرارز على النحاس فأرسل مروان إلى قضاة يأمرهم بالنزول فقالوا قل لبني سليم فلينزلوا وأرسل إلى السكاسك أن احملا فقالوا قل لبني عامر أن يحملوا فأرسل إلى السكسون أن احملا فقالوا قل إلى غطفان فليحملوا فقال لصاحب شرطته انزل فقال لا والله لا أجعل نفسي غرضا قال أما والله لأسوءك قال وددت لو قدرت على ذلك .

ويقال أنه قال ذلك لابن هبيرة قالوا ثم انهزم أهل الشام واتبعتهم أهل خراسان في أديارهم يقتلون ويأسرون وكان من غرق من أهل الشام أكثر ممن قتل وكان في جملة من غرق إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك المخلوع وقد أمر عبد الله بن علي بعقد الجسر واستخرج من غرق في الماء وجعل يتلو قوله تعالى وإذا فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون وأقام عبداً ابن علي في موضع المعركة سبعة أيام وقد قال رجل من ولد سعيد بن العاص في مروان وفراره يومئذ ... لج الفرار بمروان فقلت له ... عاد الظلوم ظليما

